

الرحمة خلق رسول الله ﷺ

إعداد

د. محمد بن عبد الله اللعبون

عضو هيئة التدريس بكلية الملك عبد العزيز الحربية



من أبحاث المؤتمر الدولي
نبي الرحمة محمد ﷺ

المنعقد في الفترة ٢٣ – ٢٥ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢ – ٤ أكتوبر **2010**م
برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله–

والذي نظمته
الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



www.sunnah.org.sa



المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإن الكتابة عن رسول الله ﷺ شرف كبير؛ ومسؤوليَّة جسيمة، اسأل الله أن يُوَفِّقني فيها ويُعين عليها، ولقد أتاحت لي الجمعيَّة العلميَّة السعوديَّة للسنة وعلومها، فرصة المشاركة في هذا الشرف العظيم، فلهم مني جزيل الشكر والثناء؛ - وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنِّهم-.

وإني إذ أشكر الجمعية على قَبول مُشاركتي وحسن ظنهم؛ فإني أُثنِّي بالشكر والثناء على مُبادرتهم الكريمة في تنظيم وتنفيذ هذا المؤتمر المُهم في قيمَته وأثره، والمُتمَيز في شُموله لعناصر الموضوع في جوانبه النظريَّة، ومُوائَمته بين الجانب النظريِّ والعمليِّ، وجمعه بين تأصيل التطبيقات وتقويمها، وموضوع نُصْرة الرسول ﷺ والدفاع عنه – وأمثاله من القضايا الكبرى- حقيقٌ بمثل هذا الجهد؛ وبرعاية جهات مُتخصِّصة ومُتكاملة؛ حتى ينضبط مَساره؛ ويُؤْتي

ثماره، فأسأل الله تعالى أن يُبارك في العمل؛ ويُجْزِل مَثوبة القائمين عليه، وقد رَغِبْتُ في المُشاركة في هذا المُؤتمر، ببحثٍ عنوانه:

(الرَّحمة خلق رسول الله ﷺ)

إنَّ تفاوُتَ الناس في الاتِّصاف بخُلُق من الأَخْلاق – ما بين مُسْتَقِلٍّ ومُسْتكْثِرٍ – أمرٌ ظاهر، ووجود أصل الخُلُق أمر حَسَنٌ يشترك فيه الكثيرون؛ ولذا فالتفاضل والتمايُز إنما يكونُ في قُوَّة التخلُّق، وتأثيره، ومعلوم – أيضًا – أن أخلاق الإنسان وتصرُّفاته تتأثر بعواملَ مُتَعَدِّدة، كالحالة النفسيَّة، ومَواقف الآخرين... الخ؛ ولذا فثبات الإنسان على مبادئه، والتزامه بأخلاقه في جميع الأحوال والظروف؛ مَرْتَبَةٌ لا يصل إليها إلا القليل؛بل النادِر، انطلاقًا من هذا يَهْدِف البحث إلى: إبراز وتأكيد عُمْق، وتأصُّل خُلُق الرَّحمة في شخص الرسول ﷺ.

وكان من أسباب اختيار الموضوع:

١ – أني لم أجد من أفرده بالبحث، وإن كان مبثوثًا في ثنايا الحديث عن أخلاق الرسول ﷺ عامَّة، وخُلُق الرَّحمة خاصَّة.

٢ – **أهمية الموضوع**، والمُتَمَثِّلة في:

أ/ إثبات فِطْرِيَّة الرَّحمة، وأنها خُلُق طبيعيٌّ؛ يُساعد على إقناع الآخرين بقضيَّتنا، ويُساهم في اختصار الأمثلة والشواهد التي يُحتاج إليها في الاستدلال



على عظيم رحمته وشمولها، وفي ردِّ اعتراض الخَصْم بأن الأمثلة والشواهد إنما هي جزئيَّة؛ أو مُتكَلَّفة من أجل مصالح آنيَّة.

ب/ ولأن البحث يهتم بأصْل الموضوع، ويُساهم في اختصار الخطاب؛ فهو يُناسب فئة مُهِمَّة يَسْتَهْدِفُها المُؤتمر، وهم: الجماهير الغربية – خاصَّة المُثقَّفين منهم–، ويُذَكِّرُ – أيضًا– المُهْتَمِّين بموضوع نُصْرة الرسول ﷺ بِتَضْمِين هذا الأصل في خِطابهم، والبناء عليه.

ج/ إثبات فطريَّة الرَّحمة، وتأصلها في نفس رسول الله ﷺ فيه بيان فضله على الآخرين– خاصَّة مِمَّن يَفْتَخِرُ بهم بعض أهل الأديان والمذاهب–، وكذلك كماله البشري، وهو جانب يُساهم في نصرة الرسول ﷺ، والدفاع عنه.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على: مُقَدِّمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

- **المقدمة:** وفيها أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.
- **التمهيد:** وفيه تعريف الرَّحمة.
- **المبحث الأول:** طبيعة رسالته، ومُهِمَّتُه ﷺ.
- **المبحث الثاني:** التزام النبي ﷺ بخُلُق الرَّحمة في أحواله كلها.
- **المبحث الثالث:** تأثير الرَّحمة في أخلاقه، وأفعاله، ومَشاعره ﷺ.

- **المبحث الرابع**: مَحَبَّتُه ﷺ للرَّحمة، وأهلها.
- **المبحث الخامس**: تأثير رحمته ﷺ في الآخرين.
- **الخاتمة**: وفيها أَبْرَز النتائج، والتوصِيات.

منهج البحث:

نظرًا لتشعُّب الموضوع؛ وطبيعة المُؤتمر، لم يكن أمامي إلا الاختصار والانتقاء؛ في عناصر الموضوع ومُكَوِّناته؛ ولذا:

١ – اخترتُ أن أتناوله من خلال عناصر تُحَقِّقُ هدفًا إضافيًّا، وهو: تعزيز جانب الاقتداء والتأسِّي بالنبيِّ ﷺ ومحبَّته.

٢ – اقتصرْتُ على الأحاديث الصحيحة، وقد حَرَصْتُ على اختيار ما ورد في الصحيحين أو أحدهما.

٣ – إذا كان الحديث من غير الصحيحين، فلم أثبت التخريج المُوَسَّع – مُراعاة لمساحة البحث- وإنما أقتصر على العَزْو إلى بعض المصادر، ونقل حكم أحد الأئمة المُعتبرين.

٤ – إذا كان هناك اختلاف مُؤَثِّرٌ في الروايات أُورِدُ اللَّفظ الذي يُناسب الموضوع، وأُبَيِّنُ ذلك عند العزو للمصادر.

٥ – لم أَتَوَسَّعْ في ذكر مصادر الحديث؛ فما كان في الصحيحين أو أحدهما لم



أَعْزُهُ إلى غيرهما إلا لفائدة خاصَّة، وكذلك إذا كان في السُّنَن والمُسند؛ لم أَزِدْ عليها.

٦ – عَزَوْتُ أقوال الصحابة ﷺ، والتابعين – رحمهم الله – إلى المصادر المُسندة.

٧ – حَرَصْتُ على نِسْبَة الأقوال لأصحابها، وعَزْوِ ذلك إلى مصادره، وما تصرَّفْتُ فيه أشرْتُ إلى ذلك بعبارة «بتصرُّف».

عودًا على بدء: أحمَدُ المولى سبحانه على تيسيره وإعانته، وأسأله أن يجعلنا من أنصار دينِه، ورسوله ﷺ، ثم أُثَنِّي بالشكر للجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها على مُبادرتهم الكريمة؛ والتي حفَّزت الباحث وغيره من المشاركين للمساهمة في هذا العمل النبيل؛ فلهم من الدعاء أجزَلُه ومن الثناء أعطره، والحمد لله رب العالمين.

* * *

تمهيد
في معنى الرَّحمة

قال ابن فارس: (رَحِمَ) الراء والحاء والميم أصل واحد يدلُّ على الرِّقَّة، والعَطْف، والرَّأفة[1].

وقال ابن منظور: الرَّحمة الرِّقَّة، والتعطُّف، والمَرْحَمة مِثْلُه، وقد رَحِمْتُهُ، وتَرَحَّمْتُ عليه، وتَرَاحَم القَوْمُ: رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، والرَّحْمَةُ: المَغْفِرَةُ[2].

وحكى ابن سيده: أصل الرَّحمة النِّعْمة...، قال الزجَّاج: وحقيقة الرَّحمة: الإنعام على المُحتاج[3].

وقال الراغب الأصبهانيُّ:الرَّحمة: رِقَّةٌ تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُسْتَعْمَل تارة في الرقة المُجَرَّدة، وتارةً في الإحسان المُجَرَّد عن الرِّقَّة[4].

وفي التعريفات: الرَّحمة هي: إرادة إيصال الخير[5].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس:٢ / ٤٩٨.

(٢) لسان العرب: مادة (رحم) -١٢ / ٢٣٠.

(٣) المخصص ـ لابن سيده: ٥ / ٢٢٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن:١٩١.

(٥) التعريفات للجرجاني: (١ / ١٤٦).



يقول الشيخ عبد الرحمن الميداني: من الأصـول الخُلُقِيَّـة وكلِّيَّاتهـا العامَّـة: خُلُق الرَّحمة؛ ولهذا الأصل فروع أخلاقيَّة مُتعدِّدة، منها: بِـر الوالـدين، ومنهـا: صِلَة الرحم، ومنها: إكـرام اليتـيم، ومنهـا: العَطْـف عـلى الفقـراء، والمسـاكين، والمرضى، والخدَم، وذوي الحاجـات، والضـعفاء، والعَجَـزة، وذوي المَصـائب، ومنها التعاطُف بين الإخوان والأصحاب والجيران، وبين المسلمين بوجه عـام، ومنها: الشفاعة الحسنة، ومنها: لين الجانب للناس، ومنها: العَفْو والصـفح عـن المُسيء، ومنها: مُشاورة رئيس الجماعة وقائدهم وولِيِّ أمرهم لأهل المشورة منهم رحمة بقلوبهم ونفوسهم التي يُؤْلِمُها الإهمال والاستبداد، إلى غير ذلك.

ويرى الشيخ عبد الرحمن: أن من العسير التوصُّل إلى تعريف دقيق للرحمة، لأنَّ شأن الرَّحمـة كشـأن مُعْظَـم العواطـف والانفعـالات، إنـما تُـدْرَك وتُعْـرَف بظواهرها، لا بحقيقة تكوينها.

ويُذْكَر أن الرَّحمة ذات مَراتب ودرجات، ولها مُستويات مُتفاوتات، قد يَصِل بعضها إلى أن يَشْعُر الراحم بمثل مَشاعر من يرحمُه تمامًا، في النوع والمِقدار[1].

***

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني: ٢/ ٥-٦.

المبحث الأول

طبيعة رسالته ومهمته ﷺ

أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، فهو في نفسه رحمة، وشريعته رحمة، ودعوته رحمة، قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: فجاءت هذه الآية مُشتملة على وصف جامعٍ لبَعثة محمد ﷺ، ومَزِيَّتِها على سائر الشرائع مزيَّةٌ تُناسب عمومَها ودوامها، وذلك كونها رحمة للعالمين... وصيغت بأبلغ نَظْم إذ اشتملت هاته الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ومدح مُرْسِلِه تعالى، ومدح رِسالته بأن كانت مَظهر رحمة الله تعالى للناس كافة، وبأنها رحمة الله تعالى بخَلقه....وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين: الأوَّلُ: تَخَلُّقُ نَفْسِه الزكيَّة بِخُلُق الرَّحمة، والثاني: إحاطة الرَّحمة بتصاريف شريعته. فأما المَظْهر الأول...(فقد) فُطِر ﷺ على خُلُق الرَّحمة في جميع أحوال مُعاملته الأُمَّة؛ لتتكون مناسبة بين روحه الزكيَّة، وبين ما يُلْقَى إليه من الوحي بشريعته التي هي رحمة حتى يكون تَلَقِّيه الشريعة عن انشراح نفس أن يجد ما يُوحَى به إليه مُلائمًا رغبته

وخلقه... ولهذا خص الله محمدًا ﷺ في هذه السُّورة بوصف الرَّحمة، ولم يَصِفْ به غيره من الأنبياء، وكذلك في القرآن كله...وأما المَظهر الثاني من مظاهر كَوْنِه رحمةً للعالمين فهو مَظهر تصاريف شريعته. أي: ما فيها من مُقوِّمات الرَّحمة العامَّة للخلق كلهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ مُتَعَلِّق بقوله: ﴿رَحْمَةً﴾»[1].

ويُؤَكِّد الرسول ﷺ هذه الرَّحمة، في مَواقف عديدة منها:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ادعُ على المشركين. قـال: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[2].

«**ولمَّا أمره الله تعالى بتخيير نسائه في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب:٢٨-٢٩] بدأ بعائشة رضي الله عنها فقال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ**». **قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير**

(١) التحرير والتنوير: ١٧/ ١٢١-١٢٢.

(٢) صحيح مسلم:ك البر والصلة والآداب – باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح٢٥٩٧ – ٤/ ٢٠٠٥.

أبوي؟ بل أختارُ الله ورسوله، والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلتُ. قال: لا تسألني امرأة منهُنَّ إلا أخبرتُها إن الله لم يبعثني مُعَنِّتًا، ولا مُتَعَنِّتًا، ولكن بعثني مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»(1).

ومن أجل تحقُّق تلك الرَّحمة وتمامها، جعل الله رسوله ﷺ، ليِّنًا رءوفًا رحيمًا، وامتَنَّ عليه وعلينا بهذه السجايا التي هي سببٌ في نجاحه والاجتماع عليه، وفي قَبول الحقِّ والانقياد له، فقال سبحانه: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران:159]، وقال سبحانه: ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة:128].

قال الحسن البصري رحمه الله: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ** ﴾ قال: هذا خُلُق محمد نعته الله(2).

وقال الإمام الربيع بن خُثَيم رحمه الله: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ**

---

(1) صحيح مسلم: ك الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية- ح 1478 -2 / 1103.

(2) تفسير ابن أبي حاتم:2/ 800.



﴿ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ أي: واللهُ قد طهَّره من الفظاظة والغِلظة، وجعله رحيمًا قريبًا رءوفًا بالمؤمنين[1].

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: ودلَّ فعل المضيِّ في قوله: ﴿ لِنتَ ﴾ على أن ذلك وصفٌ تقرَّر وعُرِف من خُلُقِه، وأن فِطْرَته على ذلك برحمة من الله إذ خَلَقَهُ كذلك، و﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فخُلُق الرسول مُناسب؛ لتحقيق حصول مُراد الله تعالى من إرساله؛ لأن الرسول يجيء بشريعة يُبَلِّغُها عن الله تعالى، فالتبليغ مُتَعَيِّن لا مُصانعة فيه، ولا يتأثر بخُلُق الرسول، وهو أيضا مأمور بسياسة أمته بتلك الشريعة، وتنفيذها فيهم، وهذا عملٌ له ارتباط قويٌّ بمُناسبة خُلُقِ الرسول لطباع أمته حتى يُلائم خُلُقُهُ الوسائلَ المُتَوَسَّلَ بها؛ لحمل أمته على الشريعة الناجحة في البلوغ بهم إلى مُراد الله تعالى منهم...، أُرْسِلَ محمدٌ ﷺ مَفطورًا على الرَّحمة، فكان لِينُهُ رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تساهُل، وبرِفْق، وإعانة على تحصيلِها[2].

وأما الآية الثانية فيقول ابن كثير رحمه الله: قوله: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ ﴾ أي: يَعِزُّ عليه الشيء الذي يُعْنِتُ أُمَّتَه ويشُقُّ عليها...وشريعتُه كلها سهلةٌ، سَمْحَةٌ

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٢/ ٨٠١.

(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٦٥.

كاملة، يسيرةٌ على من يسَّرها الله تعالى عليه ﴿ **حَرِيصٌ عَلَيْكُم** ﴾ أي: على هدايتكم، ووصول النَّفْع الدنيوِيِّ، والأخرويِّ إليكم[1].

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: يمتن [تعالى] على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم،...وهو ﷺ في غاية النُّصح لهم، والسعي في مَصالحهم... ﴿ **حَرِيصٌ عَلَيْكُم** ﴾ فيُحِبُّ لكم الخير، ويسعى جهدَه في إيصاله إليكم، ويَحْرِص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكرَه لكم الشرَّ، ويسعى جهدَه في تنفيركم عنه. ﴿ **بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ أي: شديد الرَّأفة والرَّحمة بهم، أرحمُ بهم من والديهم[2].

وهو ﷺ أشفَقُ علينا، وأرحم بنا من أنفسنا، وقد ضرب لذلك مثلا واقعيًّا مُشاهدًا فقال ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ**

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٤١.

(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان: ص ٣٥٦ - وقال ابن الأثير في النهاية: (رأف)... في أسماء الله تعالى [الرؤف] هو الرحيم بعباده العطوف عليهم بألطافه. والرأفة أرق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة. (٢/ ٤٤٤).



تَقَحَّمُونَ فِيهَا». متفق عليه(١).

وهذا مثل لاجتهاد نبينا ﷺ في نجاتنا، وحرصه على تخليصنا من الهَلَكات التي بين أيدينا(٢).

وفي الحديث ما كان فيه ﷺ من الرَّأْفة، والرَّحمة، والحِرْص على نجاة الأمة(٣).

ولعظيم نصحه وشفقته، فقد جعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال سبحانه: ﴿ **ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾... الآية [الأحزاب:٦] وذلك؛ لِمَا بذل لهم من النُّصح، والشفَقة، والرَّأفة، ما كان به أرحم الخَلْق، وأرأفهم، فرسول الله أعظمُ الخَلْق مِنَّةً عليهم(٤).

---

(١) البخاري: ك الرقاق – باب الانتهاء من المعاصي ح٦٤٨٣– فتح:١١/ ٣١٦ – مسلم: ك الفضائل – باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم– ح ٢٢٨٤– ٤/ ١٧٨٩.

(٢) القرطبي، المفهم: ٦/ ٧٨ – وقال الزمخشري: ولي عليه شفقة وشفق: رحمة ورقة وخوف من حلول المكروه به مع نصح (أساس البلاغة: ١/ ٥١٤) ويرى الراغب الأصفهاني، أن الإشفاق لا ينفك من الرحمة.(المفردات في غريب القرآن:مادة: حنّ، ص ١٣٣).

(٣) ابن حجر، فتح الباري: ١١/ ٣٨١.

(٤) ابن سعدي تفسير الكريم المنان: ٦٥٩.

وهذا ما لمسه الصحابة ﵃ وعايشوه، وشهدوا به، فعن أُمَيْمَة بنت رقيقة ﵂ أنها قالت: «**أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ نُبَايِعُهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ.**

قَالَ: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ، وَأَطَقْتُنَّ» قَالَتْ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا، هَلُمَّ نُبَايِعْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مِثْلُ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»[1].

* * *

(١) رواه الترمذي: ك السير، ب بيعة النساء، ح ١٥٩٧-٤/ ١٥١ وقال: حسن صحيح، والنسائي: ك البيعة، ب بيعة النساء، ح ٤١٨١-٧/ ١٤٩ - واللفظ له-.



المبحث الثاني

التزام النبي ﷺ بخلق الرَّحمة في أحواله كلها

من أبلغ الدلائل على أن رسول الله ﷺ مَفطور على الرَّحمة، وأنها خُلُقُه كما قال الحسن البصري رحمه الله[1] التزامُه واستصحابه لهذا الخُلُق في أحواله كلِّها -الشدَّةِ والرخاء، والقوة والضعف، والرضا والغضب، والصحة والمرض-، ومع الجميع - القويِّ والضعيف، الصغير قبل الكبير، المُوَافِق والمُخالف[2]-.

ودلائل حضور خُلُق الرَّحمة والتزامُه بها في أحواله كلها ﷺ كثيرة جدًّا، منها:

١ - في أعظم حال وموقف؛ جمع بين الجلال والأهوال، والرغبة والرهبة؛ موقف القيام أمام ذي الجلال للفصل بين الخلائق، في المقام الذي تَذْهَل فيه العقول والقلوب؛ وتتطلع كل نفس لنجاتها: يُحدِّث الرسول ﷺ عن ذلك اليوم فيقول: «**يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمْ**

(١) تقدم ذكره.

(٢) لم أذكر أمثلة على رحمته في التعامل مع الآخرين؛ لأن جل التعاملات أفرد في هذا المؤتمر ببحث مستقل.

الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي ـ نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ـ وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ ـ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ،



فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ـ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا ـ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِّي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي...الحديث» متفق عليه[1].

---

(١) البخاري: ك أحاديث الأنبياء، ب الأرواح جنود مجندة، ح ٣٣٤٠- ٦/ ٣٧١ - مسلم: ك الإيمان، ب أدنى أهل الجنة منزلة، ح ١٩٤ - ١/ ١٨٤.

قال العلامة محمد بن خفيف الفارسي: انظرْ هل وصف الله ﷻ أحدًا من عباده بهذا الوصف من الشَّفَقة والرَّحمة التي وصف بها حبيبه ﷺ؟ ألا تراه في القيامة إذا اشتغل الناس بأنفسهم كيف يَدَع حدث نفسه، ويقول: «**أمتي أمتي**»؟ يرجع إلى الشفقة عليهم، ويقول: «**إني أسلمت نفسي إليك، فافعل بي ما شئت، ولا تردَّني في شفاعتي في عبادك**»[1].

٢ – في حالة أخرى تشابه الحالة السابقة؛ في اللحظات الأخيرة، ورسول الله ﷺ يُغادر هذه الدنيا، نَجِدُ أن مِنْ أَهَمِّ ما يَشْغل بالَهُ، ويستأثر باهتمامه؛ فئة ضعيفة يَخشى عليها من الجَوْر أو الإهمال وتضييع الحقوق، عن علي ﷺ قال: كان آخرَ كلام رسول الله ﷺ: «**الصَّلاةَ الصَّلاةَ، اتَّقوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[2].

٣ – وفي موقف أخر نَلْحظ فيه قوة حضور الرَّحمة والشفقة؛ ودِقَّة استحضار مُوجبها، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ**

---

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي: (٢ / ١٦٣).

(٢) البخاري في الأدب المفرد: ب حسن الملكة، ح١٥٨ ص ٦٧، أبو داود: ك الأدب، ب في حق المملوك، ح ٥١٥٦، ٢/ ٧٦١- ابن ماجة: ك الوصايا، ب هل أوصى رسول الله ﷺ ح٢٦٩٨، ٢/ ٩٠١- وينظر فتح الباري: ٥/ ٣٦٢.



أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ؛ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِيَ؛ لِيَقْلِبَنِي ـ وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ـ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ». فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا ـ أَوْ قَالَ شَيْئًا» متفق عليه[1].

قال القاضي عياض رحمه الله: هو إشفاق منه على أمته، فقد كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، وخَشْيَتُهُ من ظنِّهم به شيئًا؛ فيَهْلِكُوا[2].

٤ – وفي موقف اجتمعت فيه رزايا مُتعَدِّدة؛ تتعلق بشخصه الكريم ﷺ وبأمته؛ حيث هزم جيش المسلمين في أول مُواجهة مع الروم؛ واسْتُشْهِد حِبُّه زيدُ ابنُ حارثةَ، وابنُ عمه جعفر بن أبي طالب، وشاعره عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم؛ ومع شدة الرزِيَّة، وفي غمرة الانشغال بها وبآثارها؛ لا يَغْفُلُ القلب المُمْتلئ رحمةً، وشفقةً عن مُراعاة مواطنها وأهلها، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: لَمَّا جاء نَعْيُ جعفر حين قُتِلَ قال النبي ﷺ: **«اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا؛ فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ**

---

(١) البخاري: ك الاعتكاف، ب هل يخرج المعتكف...،ح ٢٠٣٥– ٤/ ٢٧٨– مسلم: ك السلام، ب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة كانت زوجته...،ح١٧٥ ٢–٤/ ١٧١٢.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض:٧ / ٣٠.

يَشْغَلُهُمْ، أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ»[1].

٥ – ولأن النبي ﷺ مَفطورٌ على الرَّحمة، فقد كان معروفًا بالرَّحمة، ومشهودًا له بها حتى قبل البعثة، ففي حديث بَدْء الوَحْي، «**لَمَّا رجع الرسول ﷺ خائفًا، يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ** رضي الله عنها، **فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ ـ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ـ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» متفق عليه**[2].

فخديجة رضي الله عنها تُذَكِّرُه بأفعاله، وخصاله الحميدة الدَّالَّة على عظيم رحمته وإحسانه؛ لتُطَمْئِنَ قلبُه؛ إِذِ الجزاءُ من جنس العمل.

٦ – ويُؤَكِّد هذا عمُّه أبو طالب في لاميَّته المشهورة، فيقول:

---

(١) أبو داود: ك الجنائز،ب صنعة الطعام لأهل الميت، ح٣١٣٢،– ٢/ ٢١٢–.الترمذي ك الجنائز، ب الطعام يصنع لأهل الميت، ح ٩٩٨،٣/ ٣٢٣،وقال: حديث حسن صحيح– ابن ماجة:ك الجنائز، ب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت، ح ١٦١٠،١/ ٥١٤.

(٢) البخاري: ب كيف كان بدء الوحي...،ح ٣– ١/ ٢٢– مسلم: ك الإيمان، ب بدء الوحي، ح ٢٥٢– ١/ ١٣٩.



«**وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ * ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ**»[1].

وعلى ضوء ما تقدَّم فإن رحمة النبي ﷺ عَمَلٌ فِطْرِيٌّ طَبَعِيٌّ؛ ظاهرة في أحواله وتصرُّفاته ﷺ مع الجميع؛ يراها ويشعر بها كل من جالسه أو تعامل معه ﷺ[2] فهذا مالك بنُ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه يَفِدُ هو ومَجموعة من أقرانه، ومع أنهم شباب وضيوف؛ وجلسوا مُدَّة قليلة، نَجِدُ أن الذي لفت انتباه مالك، ولاحظه في هذه الفترة الوجيزة هو رحمة النبي ﷺ فيقول: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ** ـ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا ـ **وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**» متفق عليه[3].

---

(١) البخاري: ك الاستسقاء، ب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قنطوا، برقم: ١٠٠٨ – ٢/ ٤٩٤ – قال ابن الأثير في النهاية: الثمال – بالكسر – الملجأ والغياث. وقال: هو المطعم في الشدة. – ١/ ٦٤٣ وقال: عصمة للأرامل،أي يمنعهم من الضياع والحاجة. ١ / ٦٤٣ – و٣ / ٤٨٩.

(٢) بل ويشعر بها ويتفاعل معها من يقرأ سيرته الشريفة ﷺ.

(٣) البخاري: ك الأذان، ب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، ح ٦٢٨ – ٢/ ١١٠ – مسلم: ك المساجد، بمن أحق بالإمامة، ح٦٧٤ – ١/ ٤٦٥.

المبحث الثالث

تأثير الرَّحمة في أخلاقه وأفعاله ومشاعره ﷺ

أولا: تأثيرها في أخلاقه ﷺ:

للرحمة صِلة وثيقة بعدد من الأخلاق – تتَّضح من خلال التعريفات والدوافع- والرَّحمة تشتَمِل وتتضمن-كذلك-معاني الرِّقَّة، والعطف، والمغفرة، والإحسان، وهي عوامل مُـؤَثِّرة في أخلاق مُتَعَـدِّدة، وحينما ننظر في سيرة الرسول ﷺ نَجِدُ أن تَأَصُّل خُلُقِ الرَّحمة في نفسه الكريمة ﷺ عاد بالتأثير الإيجابي على الأخلاق الأخرى، وأضرب لذلك أمثلة:

١ – الحلم:

قال الإمام الماورْدِيُّ: وأسباب الحلم الباعثة على ضَبْط النفس عشرة: أحدها: الرَّحمة للجُهَّال، وذلك من خير يوافق رِقَّة. وقد قيل في منثور الحِكَم: مِنْ أَوْكَدِ الحِلْمِ: رَحْمَةُ الجُهَّالِ[1].

وهذا السبب يكاد أن يكون هو الأظهر في كثير من مواقف الحِلْم التي في سيرة الرسول ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي: ص٢١١.



- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ». متفق عليه[1].

٢ – الرفق[2]:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عز وجل، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» ـ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ

---

(١) البخاري: ك فرض الخمس، ب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم...، ح٣١٤٩– ٦/ ٢٥١– مسلم: ك الزكاة ب إعطاء من يسأل بفحش، ح ١٠٥٧– ٢/ ٧٣٠.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية: يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة فهو فعيل بمعنى فاعل... والرفق: لين الجانب وهو خلاف العنف. (٢/ ٦٠٢)– وقال الليث الرفق لين الجانب ولطافة الفعل. (لسان العرب:١٠ / ١١٨).

قَالَ: **فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ**». متفق عليه[1].

فالرسول ﷺ لم يُجْمِلْ في منع الصحابة الكرام عن تعنيف الأعرابي، بل وضَّح مَقْصِدَه، فقال: «**لَا تُزْرِمُوهُ**» أي: لا تقطعوا عليه بوله، (وحبْس البول يُحَصِّلُ لصاحبه ضررًا، فكان فيه زيادة ضرر على تنجيس المسجد بعد وقوعه، فهذا من رفقه ﷺ بأمته، وحُسْن نظره لهم)[2].

وفي مَوْقف آخر تُخْبِرُ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول: كنت على بعير فيه صُعوبة، فجعلت أضربه، فقال النبي ﷺ: «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ؛ فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[3]. والأمر بالرفق، واضح باعثه، وهو عدم إيذاء هذه الدابَّة بالضرب.

٣ – العفو والصفح:

قال سبحانه: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ** ﴾ ...الآية.

---

(١) البخاري: ك الأدب، ب الرفق في الأمر كله، ح٦٠٢٥–١٠/ ٤٤٩– مسلم: ك الطهارة، ب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، ح ٢٨٤–١/ ٢٣٦.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي:٢/ ١٣٨–١٣٩.

(٣) رواه مسلم: ك الأدب، ب فضل الرفق، ح ٢٥٩٤، ٤/ ٢٠٠٤– والبخاري في لأدب المفرد: باب الخرق، ح ٤٥٧ ،ص ١٦٧ – واللفظ له–.



والتفريع في قوله: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ ﴾ على قوله: ﴿ لِنتَ لَهُمۡ ﴾ ...الآية؛ لأن جميع الأفعال المأمور بها مناسب للين[1].

ومن أعظم المواقف التي تجَلَّى فيها عظيم عفوه ﷺ موقِفُه من أهل مكَّة حينما دخلها فاتحًا، فقد كانوا لا يشكُّون في استئصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم – نظرًا لِما فعلوه به، وبأصحابه من الأذى والمحاربة- ولكن هل حدث ما توقَّعُوه، وما يستحقونه؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة استعمل رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على إحدى المُجَنِّبَتَيْنِ، وخالد بن الوليد على الأخرى. قال: فبَصُر بي رسول الله ﷺ في كَبْكَبَة، فهتف بي. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «**اهِتْفِ لِي بِالأَنْصَارِ**» فهتَفْتُ بهم، فطافوا برسول الله ﷺ كأنهم كانوا على ميعاد. قال: «**يَا مَعْشَرَ الأنصارِ، إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ جَمَعُوا لَنَا، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا، الصَّفَا مِيعَادُكُمْ**» قال أبو هريرة: فما لقينا منهم أحدًا إلا فعلْنا به كذا وكذا، وجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله، أَبَحْتَ خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ**»

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣/ ٢٦٧.

ولجأتْ صناديد قريش وعظماؤها إلى الكعبة ـ يعني: دخلوا فيها ـ قال: فجاء رسول الله ﷺ حتى طاف بالبيت، فجعل يمرُّ بتلك الأصنام، فيطعَنُها بسِيَة القوس، ويقول: «**جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زَهُوقًا**» حتى إذا فرغ، وصلى جاء، فأخذ بعِضادتي الباب، ثم قال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَقُولُونَ؟**» قالوا: نقول: ابنُ أخ وابن عم رحيم كريم. ثم عاد عليهم القولَ قالوا: مثل ذلك. قال: «**فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ «لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**» فخرجوا، فبايعوه على الإسلام[١]. ويُلْحَظُ – هنا– أن قريشًا استرْحَمَت الرسول ﷺ بالقرابة، والرَّحِم، وبصفته: الرحيم.

وبالجملة «**ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يُؤْتَى إليه حتى يُنْتَهَكَ من حُرُمَات الله؛ فينتقم لله**» متفق عليه[٢].

ثانيا: تأثير الرَّحمة في أفعاله ﷺ:

كان ﷺ يعمل العملَ، ودافِعُهُ: الرَّحمة بأصحابه، ويترك العمل – وهو

(١) رواه النسائي في الكبرى: ك التفسير، سورة الإسراء، ح ١١٢٩٨، ٦/ ٣٨٢ –وينظر صحيح مسلم: ح٤٧٢٢.

(٢) البخاري: ك المناقب، ب صفة النبي ﷺ، ح ٣٥٦٠- ٦/ ٥٦٦- مسلم: ك الفضائل، مباعدته ﷺ للآثام...، ح ٢٣٢٧، ٤/ ١٨١٣.



يُحِبُّه- خوفًا أن يُفْرَض أو يُقْتَدَى به فيه؛ فيَشُقَّ بـذلك عـلى أمتـه، والأمثلـة عـلى ذلك كثيرة جدًّا، منها:

١ – عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَـرَجَ عَـامَ الْفَـتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَـدَحٍ مِـنْ مَاءٍ، فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِـكَ: إِنَّ بَعْـضَ النَّـاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**»[1].

٢ – وأعظم من ذلك أنه كان يَقْصُر الصـلاة إذا سَـمِع بكـاء الصـبيِّ في المسجد؛ رحمةً به وبأمه، مـع أن الصـلاة هـي قُـرَّةُ عينـه ﷺ، وشـهود النسـاء والأطفال للصلاة في المسجد ليس واجبًا، فعن أبي قتـادة عـن النبـي ﷺ قـال: «**إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَـلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**»[2].

٣ – عن أبي هريرة ﷺ: «أن امرأة سوداءَ كانت تَقُمُّ المسـجد (أو شـابًّا)، ففقدَها رسول الله ﷺ، فسأل عنها (أو عنه) فقالوا: مـات. قـال: «**أَفَـلا كُنْـتُمْ آذَنْتُمُونِي**». قال: فكأنهم صـغَّروا أمرهـا (أو أمـره) فقـال: «**دُلُّـونِي عَـلَى قَـبْرِهِ**».

(١) صحيح مسلم: ك الصيام، ب جواز الفطر في شهر رمضان للمسافر...، ح١١١٤، ٢/ ٧٨.

(٢) صحيح البخاري: ك الآذان،ب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي،ح٧٠٧- ٢/ ٢٠١.

فدلُّوه، فصلى عليها، ثم قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**» متفق عليه[1]. وسؤال النبي ﷺ عن هذه المسكينة يدُلُّ على كمال تفضُّله، وحسن تعهُّده، وكرَم أخلاقه، وتواضعه، ورأفته ورحمته، وتنبيه على أن لا يُحْتَقَرَ مُسلمٌ، ولا يُصَغَّرَ أمرُهُ[2].

٤ – وعن أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ**». متفق عليه[3].

وقد كان هذا ظاهرًا من حاله ﷺ حتى قالت عائشة ﵂: «**مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ**

(١) البخاري: ك الصلاة، ب كنس المسجد...، ح٤٥٨– ١/ ٥٥٢– مسلم: ك الجنائز، ب الصلاة على القبر،ح ٩٥٦، ٢/ ٦٥٩– واللفظ له –.

(٢) المفهم للقرطبي:٢/ ٦١٨.

(٣) البخاري: ك الإيمان،ب الجهاد من الإيمان، ح ٣٦– ١/ ٩٢– مسلم: ك الجهاد، ب فضل الجهاد...،ح ١٨٧٦،٣/ ١٤٩٥– وللفظ له–.



مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا»[1].

ثالثا: تأثير الرَّحمة في مشاعر النبي ﷺ:

لم يَقْتَصِرْ أثر الرَّحمة النبويَّة على أخلاقه وأفعاله – فقط – بل لعمقها وأصالتها في نفسه الكريمة، ظهر أثرُها في مشاعره، وصارت تُعْرَف من حاله قَبْلَ فعله أو بيانه.

١ – أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ إليه: تدعوه وتخبره أن صبيًّا لها أو ابنًا لها في الموت، فقال للرسول: «**ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا أَنَّ للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**». فَأَعَادَتْ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ، وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**». متفق عليه[2].

فقوله: (فقال هذه) أي: الدمعة أثرُ رحمة، أي: أن الذي يفيض من الدمع

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) البخاري: ك الجنائز، ب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه...، ح١٢٨٤،٣/ ١٥١– مسلم: ك الجنائز، ب البكاء على الميت، ح ٩٢٣، ٢/ ٦٣٥.

من حزن القلب بغير تعمُّد من صاحبه، ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه[1].

٢ – تلاحظ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تغـيُّر حالـة النبـي ﷺ عنـد رؤيـة الغيم، فتقول: «كان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرِفَ في وجهه ، فقالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيمَ فَرِحُوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرِفَ في وجهك الكراهيةُ؟ فقال: «**يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُـذِّبَ قَـوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**» متفق عليه[2].

٣ – وفي موقف عجيب اجتمعت فيه مشاعرُ وانفعالات مُتعارضة، وظهر فيه أثر الرَّحمة النبوية في فعله، وقوله، ومشاعره ﷺ، وقد أحسن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله رضي الله عنه في وصف المَوقف حتى كأننا نشاهده، حيث يقول: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ؛ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا، فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: «﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن**

---

(١) ابن حجر، فتح الباري:٣/ ١٥٧.

(٢) البخاري: التفسير، ب «فلما رأوه عارضا...»ح٤٨٢٩- ٨/ ٥٧٨- مسلم، ك صلاة الاستسقاء، ب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، ح ٨٩٩، ٢/ ٦١٦.



نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحشر١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(١).

وشَرْحُ مواضع الرَّحمة في هذا الحديث يطول، ولكن تأمل كيف كان حاله ﷺ التي دلَّتْ عليها تعابير وجهه الكريم، حينما دخل عليه هؤلاء، وحاله حينما استجاب المسلمون لدعوته.

٤ – ومع ذلك فإن أَحْيَى المشاعر، وأعمقها لا تتفجر عنده في هذه المواقف العاديَّة المألوفة– فقط– بل كانت عواطفه الرقيقة تتجه نحو القِيَم العليا، فلقد كان لاهتمامه بنجاة الناس، والآلام التي يُحِسُّها حين يرى ضلالهم، كان

(١) صحيح مسلم: ك الزكاة، ب الحث على الصدقة...،ح١٠١٧،٢/ ٧٠٤.

لذلك تأثير مُوجِعٌ على نفسه[1].

قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦]، فهذه مُعاتبة من الله عز ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيما.)[2].

ويُؤَيِّدُ أن حزنه إنما هو رحمة وشفقة -وليس بسبب إيذائهم أو نحوه- ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادعُ لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربَّكَ عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئتَ أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبّتْهُ عذابًا لا أعذِّبُهُ أحدًا من العالمين وإن شئتَ فَتَحْتُ لهم باب التوبة والرَّحمة.قال: «**بَلْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**». رواه أحمد والحاكم[3].

فقد اختار ﷺ التأنِّي بهم – مع ما فيه من زيادة التعب والمَشقَّة عليه – إلا أنه أرجى لإسلامهم.

---

(١) ينظر دستور الأخلاق محمد عبد الله دراز: (٦٠٠-٦٠١) بتصرف يسير.

(٢) تفسير الإمام الطبري:١٥/ ١٥١.

(٣) المسند:١/ ٢٤٢- المستدرك: ك التفسير، ب سورة المائدة،٢/ ٣١٤،وصححه ووافقه الذهبي.



المبحث الرابع
محبته ﷺ للرحمة وأهلها

من دلائل تأصُّل خُلُق الرَّحمة في نفس رسول الله ﷺ محبته أن ينتشر هذا الخلق، وسعيه ﷺ في ذلك بقوله وفعله، وكذلك محبته للمتَّصفين بالرَّحمة، وثناؤه عليهم، وتتأكد هذه الدَّلالة إذا استَصْحبنا قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ** ﴾ [الصف: ٢-٣].

والرسول ﷺ «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»[١] فكل ما استحسنه، وأثنى عليه، ودعا إليه فقد تحلَّى به، وكل ما استَهْجَنَهُ، ونهى عنه تجَنَّبه، وتخلَّى عنه[٢].

إذًا فالرسول ﷺ حينما يدعو إلى الرَّحمة، ويُرَغِّب فيها فهو أوَّل المُبادرين إليها، وسأشير إلى مَظْهرين من مظاهر محبَّته ﷺ للرحمة، هما:

الأوَّل: الترغيب فيها.

والثاني: محبَّة أهلها، والثناء عليهم.

---

(١) صحيح مسلم:ك صلاة المسافرين/ ب جامع صلاة الليل...،ح ٧٤٦- ١/ ٥١٢.

(٢) فيض القدير للمناوي: ٥/ ١٧٠.

أولا: الترغيب في الرَّحمة:

وردت نصوص كثيرة جدًّا في الترغيب في الرَّحمة، بأساليب مُتَنَوِّعة، منها:

عن عياضِ بن حِمار رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»[1].

ويذكر الرسول ﷺ المؤمنين أن العمل بهذا الخُلُق فيه مصلحة للجميع، فعن النُّعْمَانِ بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ، وَالْحُمَّى**». متفق عليه[2].

بوَّب عليه الإمام ابن حبان رحمه الله: ذِكْرُ تمثيل ﷺ المؤمنين بما يجب أن يكونوا عليه من الشفَقة والرَّأفة[3].

---

(١) صحيح مسلم: ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة...،ح ٢٨٦٥، ٤/ ٢١٩٧.

(٢) البخاري: ك الأدب، ب رحمة الناس والبهائم، ح ٦٠١١-١٠/ ٤٣٨- مسلم: ك البر والصلة، ب تراحم المؤمنين...،ح ٢٥٨٦-٤/ ١٩٩٩.

(٣) صحيح ابن حبان: ح٢٣٣(١ / ٤٦٩).



٣ – من أراد أن يدخل في رحمة الله فليرحم الخَلْق:

فعن أسامة بن زيد ﷺ عن الرسول ﷺ أنه قال: «**وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ**». متفق عليه[١].

وعن عبدالله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ**»[٢].

فأتي بصيغة العُموم؛ ليشمل جميع أصناف الخَلْق، فيرْحم البر والفاجر، والناطق والبَهْم، والوُحوش والطير[٣].

ثانيا: محبته للمتصفين بالرَّحمة وثناؤه عليهم:

١ – أبو بكر الصدّيق ﷺ صديق رسول الله ﷺ قبل البعثة، وأحب الناس إليه، وأقربهم منه بعد البعثة، ويُشْبِهُ أن يكون من أسباب ذلك مُشابهته للنبي ﷺ في أخلاقه، «**خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أبو داود: ك الأدب، ب في الرحمة، ح ٤٩٤٣، ٤/ ٤٤٠- الترمذي: ك البر والصلة، ب رحمة المسلمين، ح ١٩٢٤، ٤/ ٣٢٣ وقال حسن صحيح.

(٣) تحفة الأحوذي للمباركفوري نقلا عن الإمام الطيبي:٦/ ٤٣.

الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ـ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ ـ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، فَأَعْبُدَ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ، وَلَا يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَادِكَ»[1].

وما قاله ابنُ الدَّغِنَة في أبي بكر الصديق هو ما وصفتْ به خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ[2] و«**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[3].

وقد أثنى الرسول ﷺ على أبي بكر، فقال: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ**»[4].

٢ – يخطب الرسول ﷺ ابنة عمه أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها وهذا شَرَفٌ تتمناه كل امرأة، فماذا أجابتْ؟

---

(١) صحيح البخاري: ك مناقب الأنصار، ب هجرة النبي ﷺ – ح٣٩٠٥، ٧/ ٢٣٠.

(٢) تقدم ذكره.

(٣) صحيح مسلم: ك البر والصلة، ب الأرواح جنود مجندة، ح ٢٦٣٨،٤/ ٢٠٣١.

(٤) الترمذي ك المناقب، ب مناقب معاذ بن جبل...، ح٣٧٩١،٥/ ٦٦٥–و قال: حسن صحيح – ابن ماجة: المقدمة، ب فضائل خباب، ح ١٥٤–.



قالت: يا رسول الله، إني قد كَبِرْتُ، ولي عيال[1].

عندئذ قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ**»[2].

٣ – عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**». متفق عليه[3].

٤ – ومن محبته ﷺ للرحماء أنه يُقَرِّبُهم منه في الآخرة،

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ـ وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ: السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى**»[4] وذلك؛ لما فيه من حُسْن الخلافة للأبوين، ورحمة الصغير، وذلك مقصود عظيم في الشريعة[5].

---

(١) في رواية عند ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٥١): ولكني امرأة مصبية وأكره أن يؤذوك.

(٢) صحيح مسلم: ك فضائل الصحابة...،ب من فضائل نساء قريش، ح٢٥٢٧، ٤/١٩٥٨.

(٣) البخاري: ك الشركة، ب الشركة في الطعام والنهد والعرض، ح٢٤٨٦، ٥/١٢٨– مسلم: ك فضائل الصحابة...، ب من فضائل الأشعريين، ح٢٥٠٠، ٤/ ١٩٤٤.

(٤) صحيح البخاري: ك الأدب ب فضل من يعول يتيما، ح ٦٠٠٥، ١٠/٤٣٦،من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٥) فيض القدير للمناوي: ٣/ ٤٩.

المبحث الخامس

تأثير رحمته ﷺ في الآخرين

ما خرج من القلب وصل إلى القلب[1]، هذه الحكمة تُغني عن الإطالة في بيان قوة تأثير الشيء حينما يكون صادرًا عن طبيعة، وجِبِلَّةٍ، بلا تكلف، أو ادِّعاء، ولأن خُلُق الرَّحمة قد مَلَأ قلب النبي ﷺ فقد بلغ تأثيرُه في الآخرين مبلغًا كبيرًا، ومن أعظم مظاهر ذلك التأثير محبتُّهم للنبي ﷺ، واجتماعهم عليه، وطاعتهم له كما قال المولى سبحانه: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ** ﴾ ...الآية.

وفي كتب السُّنَّة، وسِيَر الصحابة الكرام – رضوان الله تعالى عليهم– أمثلة كثيرة، وصُوَرٌ مُتَنَوِّعة لتأثير رحمته ﷺ، سأكتفي بنماذج تتعلَّق بأحد أنواع التأثر، وهو: العمل بخُلُق الرَّحمة، وانتشارها، ومنها:

١ – الاستجابة للرحمة النبوية:

يقول أبو مسعود البدري رضي الله عنه: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**»، فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ؛ مِنْ الْغَضَبِ. قَالَ: فَلَمَّا

(١) ينظر: أبو نعيم، حلية الأولياء:٢/ ٣٥١ – ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله:٢/ ٨.



دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**». قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ**».

ولمَّا سمِع أبو مسعود تذكير رسول الله ﷺ ويُشْبِه أن يكون في نبْرَة صوته، وتعابير وجْهه ما يدُلُّ على عظيم الشفقة والرَّحمة- لم يكْتف بإيقاف الضرب، بل رأى أن الأمر يستحقُّ أكبر من ذلك، فقال:«**لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا، وقال: هُو حُرٌّ لِوَجْهِ الله**».

وهذا ما كان سيأمره به الرسول ﷺ إذ قال: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ**»(١)؛ فقد كان الحال أسرع من المقال.

قال النبي ﷺ لأبي الهيثم بن التَّيْهان: «**هَلْ لَكَ خَادِمٌ؟**» قال ﷺ: لا.

قال: «**فَإِذَا أَتَانَا سَبْيٌ فَائْتِنَا**». فأتي النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم، فقال النبي ﷺ: «**اخْتَرْ مِنْهُمَا**». فقال: يا نبي الله، اخْتَرْ لي، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، خُذْ هَذَا، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي، وَاسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفًا**».

فكيف طبَّق أبو الهيثم رضي الله عنه هذه الوصية؟

---

(١) صحيح مسلم: ك الأيمان، ب صحبة المماليك...، ح ١٦٥٩، ٣/ ١٢٨٠.

يقول الراوي: «فانطلقَ أبو الهيثم إلى امرأته، فأخبرَها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تُعْتِقَه. قال: فهو عتيق[1]. فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا، وَلا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا، وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِي**»[2].

فاقتنع بكلامها رضي الله عنهما وأعتقه، وذلك إما أنهما خَشِيَا أن يُقَصِّرَا في تطبيق الوصية، أو أنهما رأيا من حال الغلام – في دينه أو بدنه – ما فهما منه أن المعروف الذي يستحقه هو العتق، خاصَّة أن أبا الهيثم طلب من الرسول ﷺ أن يختار له، ثم إن رسول الله ﷺ لم يُنْكِرْ عليهما ما فعلا.

٢ – وفي تطبيق معاني الرَّحمة التي أمر بها النبي ﷺعن معاوية بن سويد قال: لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا، فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي، فَدَعَاهُ وَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: امْتَثِلْ مِنْهُ، فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا بَنِي مُقَرِّنٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ

(١) في رواية عند الطحاوي في شرح مشكل الآثار (ح ٤٧٢ –١/ ٤٠٩): فانطلق به أبو الهيثم فلما أتى أهله قال إن النبي ﷺ قد أوصاني بك خيرا فأنت حر لوجه الله تعالى.

(٢) سنن الترمذي: ك الزهد، ب معيشة أصحاب النبي ﷺ ح ٢٣٩٦، ٤/ ٥٨٣ وقال: حسن صحيح غريب.



اللهَّ ﷺ لَيْسَ لَنَا إِلَّا خَادِمٌ وَاحِدَةٌ، فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَعْتِقُوهَا**» قَالُوا: لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا. قَالَ: «**فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا، فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا**»(١).

٣ – وفي الاقتداء بالرسول ﷺ في رحمته ورفقه:

- عَنْ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: «**كُنَّا عَلَى شَاطِئِ نَهَرٍ بِالْأَهْوَازِ قَدْ نَضَبَ عَنْهُ الْمَاءُ، فَجَاءَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ عَلَى فَرَسٍ، فَصَلَّى، وَخَلَّى فَرَسَهُ، فَانْطَلَقَتْ الْفَرَسُ، فَتَرَكَ صَلَاتَهُ، وَتَبِعَهَا حَتَّى أَدْرَكَهَا، فَأَخَذَهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَضَى صَلَاتَهُ، وَفِينَا رَجُلٌ لَهُ رَأْيٌ، فَأَقْبَلَ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ تَرَكَ صَلَاتَهُ مِنْ أَجْلِ فَرَسٍ! فَأَقْبَلَ، فَقَالَ: مَا عَنَّفَنِي أَحَدٌ مُنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّ مَنْزِلِي مُتَرَاخٍ، فَلَوْ صَلَّيْتُ وَتَرَكْتُهُ لَمْ آتِ أَهْلِي إِلَى اللَّيْلِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ، فَرَأَى مِنْ تَيْسِيرِهِ**»(٢).

- عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: «**كَانَ عَبْدُ اللهَّ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا؛**

---

(١) صحيح مسلم: ك الأيمان، ب صحبة المماليك...، ح١٦٥٨، ٣/ ١٢٧٩.

(٢) صحيح البخاري: ك الأدب، ب قول النبي ﷺ: يسروا...،ح٦١٢٧، ١٠/ ٥٢٥.

مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا». متفق عليه[1].

- هذا مثال من طريقة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التي وصفها حبة ابن جوين العُرَني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يقول: كنا جلوسًا عند علي، فذكَّرنا بعض قول عبد الله، وأثنى القوم عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلا أحسن خُلُقًا، ولا أرفق تعليمًا، ولا أشد ورعًا، ولا أحسن مُجالسة من ابن مسعود[2].

- خرج عدي بن حاتم رضي الله عنه إلى مجلس قومه، فأُقِيمت الصلاة، فتقدَّم إمامُهم، فأطال الصلاة والجلوس ، فلما انصرف قَالَ عدي: من أَمنا منكم فلْيُتِمَّ الركوع والسجود؛ فإن خلفه الصغير والكبير، والمريض، وابن السبيل، وذا الحاجة ، فلما حضرت الصلاة تقدَّم عدي فأتم الركوع والسجود، وتجوَّز فِي الصلاة، فلما انصرف قَالَ: هكذا كنا نُصَلِّي خلف النَّبِيِّ[3].

- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُّ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَا

---

(١) البخاري: ك العلم، ب ما كان النبي – ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ح ٦٨، ١/ ١٦٢– مسلم: ك صفات المنافقين، بالاقتصاد في الموعظة، ح٤، ٢٨٢١/ ٢١٧٢.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٢٢ برقم:١٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ١٧/ ٩٣ ح ٢٢٢.



ثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي. قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»(١).

- ولقد أثَّرَ رِفق النبي ﷺ في نفس معاوية – كما يدل عليه كلامه السابق–، وفي معاملته لغيره إذ حصل في مرة أن غضب على جارية له، فضربها، وشعر عند ذلك أن هذا خلاف ما تعلمه من الرسول ﷺ، فسارع يستشيره في إصلاح ما بدر منه، فيقول: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم:ك المساجد ومواضع الصلاة، بتحريم الكلام في الصلاة...، ح٥٣٧، ١/ ٣٨١.

(٢) صحيح مسلم: نفس الموضع السابق.

- عن أَبِي إِسْحَاقَ السبيعي قَالَ: كَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فِي بَعْثٍ بِأَرْمِينِيَّةَ قَالَ: فَأَصَابَتْهُمْ مَخْمَصَةٌ أَوْ مَجَاعَةٌ قَالَ: فَكَتَبَ جَرِيرٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يرحمه الله عز وجل**» قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: آنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَقْفَلَهُمْ، وَمَتَّعَهُمْ[1].

إن هذه الأمثلة، والشواهد تُبَيِّن شيئًا يسيرًا من النجاح الذي حققه الرسول ﷺ - بقوله وعمله- في نشر وتعميق خُلُق الرَّحمة في مُجْتَمَع الصحابة الكرام – رضوان الله تعالى عليهم- النجاح الذي أخبر عنه المولى سبحانه فقال: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا** ﴾ [الفتح:٢٩].

* * *

(١) مسند الإمام أحمد:٤/ ٣٦١، والمعنى أنه أمرهم بالعودة إلى ديارهم، وزادهم أن أهداهم من المتاع.



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعلنا من هذه الأمة المرحومة، وامتَنَّ علينا بنبي الرَّحمة ﷺ، وبعد هذه الإطلالة المُختصرة والمُمْتعة، على بعض أحوال الرسول ﷺ وأعماله، أختم هذا البحث بِذِكْر أَبْرَز النتائج، والتوصيات، وهي:

١ – أن الرسول ﷺ مَفطورٌ على الرَّحمة وهي خُلُقه، بدَلالة القرآن، وملازمتُه لها، وظهورُها في تصرُّفاته، وتأثيرها في الآخرين.

٢ – أن الله تعالى أشاد برحمة الرسول ﷺ وامتَنَّ بها؛ وبيَّن أثرها؛ ولذا فبيان هذه الرَّحمة والحديث عنها أمر مُهِمٌّ سواءٌ للمسلمين- للاقتداء والمحبَّة- وللكفار دعوةً وإعذارًا.

٣ – أن الرَّحمة أصل من أصول الأخلاق؛ ينبني عليه الكثير من السُّلوكيَّات، والأعمال؛ فلا بد أن تُعْطَى حَقَّها من الدعوة والبيان.

٤ – أن اتِّصاف الإنسان بالرَّحمة من أقوى وسائل التأثير في الآخرين؛ فحَرِيٌّ بأهل العلم والدعوة، أن يقتَدُوا بالرسول ﷺ في العمل، والتعامل بالرَّحمة.

٥ – تأثير اتصاف الرسول ﷺ بالرَّحمة موضوع يستحِقُّ العِناية والإبراز؛ إذ له عَلاقة بالسيرة، والدفاع عن الرسول ﷺ، والدعوة للرحمة، ومحبَّة الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

٦ – التجديد في عرض السيرة النبوية ووقائعها؛ من خلال التعريف بشخصيَّة الرسول ﷺ، وأخلاقه، وأعماله؛ وإبراز جوانب التميُّز، والعظمة، والتأثير فيها، وعدَم الاقتصار على السَّرْد التاريخي فقط، تقوية للمحبة؛ وتحفيزًا على الاقتداء.

والحمد لله الذي بنعمته تتِمُّ الصالحات.

* * *



قائمة المراجع

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، علاء الدين بن بلبان الفارسي(ت٧٣٩هـ)، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، الرسالة،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأُسُسُها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم – دمشق، الطبعة السابعة، ١٤٢٩ هـ.

(٣) أدب الدنيا والدين، الإمام أبي الحسن محمد بن حبيب الماوردي – شرح وتعليق محمد كريم راجح–دار إقرأ– بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

(٤) الأدب المفرد، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

(٥) أساس البلاغة، أبو القاسم جارالله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق محمد باسل السواد–دار الكتب العلمية– بيروت –الطبعة الأولى –١٤١٩هـ.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، الإمام عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق:د.يحيى إسماعيل، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٧) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور– محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي– مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية بيروت.

(٩) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(١٠) نفسير الطبري = جامع البيان.

(١١) تفسير القرآن العظيم، الإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٨٧م.

(١٢) تفسير القرآن العظيم مسندًا، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم(٣٢٧هـ) تحقبق: أسعد محمد طيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

(١٣) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – تحقيق د.عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة –بيروت–الطبعة الأولى– ١٤٢٠هـ.

(١٤) جامع بيان العلم وفضله، الإمام يوسف ابن عبدالبر (ت٤٦٣هـ)، دار الكتب الإسلامية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

(١٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر –الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(١٦) الجامع الصحيح المسند من أحاديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري = فتح الباري.

(١٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.



(١٨) دستور الأخلاق في القرآن -محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البحوث العلمية.

(١٩) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ)، صححه ورقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربية، دون تاريخ.

(٢٠) سنن أبي داود، سليمان الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، إعداد: عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.

(٢١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

(٢٢) السنن الكبرى، الإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) تحقيق: د.عبد الغفار البنداري، وسيد كسرواي دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٢٣) سنن النسائي، أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، مع شرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

(٢٤) شرح مشكل الآثار، الإمام أحمد بن محمد الطحاوي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٢٥) شعب الإيمان، الإمام أحمد الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢٦) صحيح ابن حبان = الإحسان.

(٢٧) صحيح البخاري = الجامع الصحيح.

(٢٨) صحيح مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون تاريخ.

(٢٩) الطبقات الكبرى، الإمام محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، دار الفكر، دون تاريخ.

(٣٠) طرح التثريب في شرح التقريب،الإمام أبي الفضل عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٦هـ) وابنه أبي زرعة (٨٢٦هـ) دار إحياء التراث- بيروت.

(٣١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله البخاري، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

(٣٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المحدث عبدالرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، دار المعرفة،بيروت، لبنان، دون تاريخ.

(٣٣) لسان العرب، الإمام محمد بن منظور المصري، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى.

(٣٤) المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٣٥) المستدرك على الصحيحين، الإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) دار المعرفة -بيروت- طبعة مذيلة بتلخيص الذهبي.

(٣٦) المسند، الإمام احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، طبعة المكتبة الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣٧) المصنف في الأحاديث والآثار، الإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة(ت٢٣٥هـ)، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.



(٣٨) المعجم الكبير للطبراني، احمد بن سليمان (ت٣٦٥هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

(٣٩) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،الطبعة: ١٣٩٩هـ.

(٤٠) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت.

(٤١) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، الإمام أبي العباس الحسن بن عمرالقرطبي (ت ٦٥٦هـ) تحقيق:محيي الدين مستو، وآخرون، دار ابن كثير والكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

(٤٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري(ت ٦٠٦هـ)،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ.

* * *

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



هاتف : ٢٥٨٢٧٤٩ – ١ – ٠٠٩٦٦

فاكس: ٢٥٨٢٧٤٣ – ١ – ٠٠٩٦٦

المملكة العربية السعودية

ص . ب ٤٦٨١١ الرياض ١١٥٤٢

www.sunnah.org.sa
sunnah@sunnah.org.sa